الملخص باللغة العربية

حفل عصر سلاطين المماليك بمختلف ألوان النشاط السياسى، واستخدم المماليك سواء كانوا سلاطين أم أمراء أساليب مختلفة للوصول إلى أهدافهم.

وقد وضح جلياً فى دولة المماليك الجراكسة فى ظل خلافة المستعين بالله، كثرة الاضطرابات والصراعات السياسية التى كانت تهدد أمن واستقرار الدولة فى مصر والشام، والتى تمثلت بكثرة فى الثورات وحركات العصيان وخروج كبار الأمراء على سلاطين الدولة طمعاً فى الحكم.

وقد عاصرت فترة خلافة المستعين بالله فترة حكم السلطان الناصر فرج والتى اتسمت فترة حكمه بعدم الاستقرار السياسى والاضطراب الداخلى للدولة، نتيجة صغر سن السلطان الناصر فرج، وميوله إلى اللهو والطرب، ووصف المؤرخين له بأسوأ الأوصاف.

وقد أدت هذه العوامل إلى طمع كبار الأمراء وصراعهم فى الوصول إلى عرش السلطنة المملوكية، فقد اتفق كبار الأمراء على تولى الخليفة المستعين بالله السلطنة المملوكية أثناء وجوده فى دمشق بعد الإطاحة بحكم السلطان الناصر فرج.

وبالرغم من رفض الخليفة المستعين بالله سلطنة المماليك خوفاً من خروج الأمراء عليه: إلا أنهم حاولوا أثناء وجوده فى دمشق احترامه وإطاعة أوامره وحلف الإيمان له لحين تحقيق أهدافهم والوصول إلى عرش السلطنة، وقد استطاع أحد كبار الأمراء وهو الأمير شيخ أن يقوض من نفوذ الخليفة المستعين بالله السلطان عند وصوله القاهرة مقر الحكم من الإطاحة بحكم الخليفة المستعين بالله السلطان وعزله من الخلافة والسلطنة.

الكلمات المفتاحية:

– الخليفة – السلطان – المستعين – الدولة – شيخ – نوروز

الملخص باللغة الإنـجليزية

The reign of the Mamluk Sultans celebrater the various colors of political activity, and the Mamluks used whether they were sultans or princes, different methods to reach their goals. It was clearly demonstrated in the circassian mamluk state in the shadow of the caliphate of the one who seeks help from God, where the large number of turmoil and political conflicts that were threatening the security and stability of the state in Egypt and the levant, which was represented by the abundance of revolutions and rebellion moevements and the departure of senior princes against the sultans of the state in hopes of rule.

The period of the caliphate of Al-Musta'in Allah lived through the region of sultan Al-Nasir Faraj, whose period of rule was characterized by political instability and the internal tumoil of then state, as a result of the young age of sultan Al-Nasir Faraj and his inclinations to amusement and rapture, and historians describe him with the worst descriptions.

These factors led to the agreed of senior princes and their struggle to reach the throne of the Mamluk Sultanate, the senior princes agreed that Caliph Musta'in Allah would assume the Mamluk Sultanate while he was in Damascus after the overthrow of Sultan Al-Nasir Farag's rule.

Despite the refusal of the Caliph Al-Musta'in Allah, the Sultanate of the Mamuluks, for fear of the departure of the princes Ali! However, while the was in Damascus, they tried to respect him, obey his orders, and swear the notables swear to him until they achieve their goals and reach the throne of the Sultanate.

One of the senior princes, El-Amir Shiekh, was able to diminish the influence of the Caliph, seeking help from God the Sultan, and removing him from the caliphate and the sultanate.

Keywords:

- El-Musta'in
- Caliph
- Sultan
- Coubntry
- Shikhe
- Nowruz

مقدمة

ظهر منصب الخلافة كمنصب رسمى فى الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتولى أبى بكر الصديق أمور المسلمين عام ١١هـ/ ٦٣٢م، ومنذ ذلك الوقت وحتى سقوط دولة الخلافة سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، مرت مؤسسة الخلافة بتغييرات كثيرة وتطورات مهمة، هذه التغييرات بدأت تحيط بمؤسسة الخلافة وتراجع سلطة الخليفة، ومن أهم تلك العوامل، نشأة منصب السلطنة منذ بدايات العصر السلجوقى (٤٤٧ ـ ٥٩٠هـ/ ١٠٥٥ ـ ١١٩٣م)، لزيادة سلطتهم ونفوذهم واعتراف الخلفاء العباسيين بهم سلاطين للإسلام.

ولم تفلح محاولات الخلفاء فى إعادة هيبة الخلافة إلا لفترات قصيرة تمثلت فى فترة ضعف السلاطين السلاجقة ثم الأيوبيين، وصراعاتهم على السلطنة، إلا أن هذه الحالة لم تدم طويلا، حيث تبعتها كارثة الغزو المغولى لبغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، والتى أنهت وجود الخلافة العباسية فى بغداد، ولكنها عادت مرة أخرى على يد سلاطين المماليك، الذين قاموا بإحيائها مجددا فى مصر على يد السلطان الظاهر بيبرس (٦٨٥ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م)، ومن الملاحظ عبر تاريخ الخلافة العباسية فى مصر، أنه لم يتول خليفة عباسى بها أية سلطة سياسية أو حكماً سوى الخليفة المستعين بالله، حيث جمع بين الخلافة والسلطنة فى آن واحد.

هذا الحدث غير العادى يجعلنا نتوقف ونتساءل: ما هى الظروف التاريخية التى جعلته قادرا على تحقيق نوع من السلطنة لم يحققه خليفة من قبله، وهل استطاع المستعين بالله إدارة شئون البلاد؟

هذه التساؤلات كلها فى هذا البحث جاءت تحت عنوان: المستعين بالله بين الخلافة والسلطنة (٨٠٨ ـ ٨١٧هـ/ ١٤٠٦ ـ ١٤١٥م).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وخاتمة بينهما ثلاثة مباحث ثم قائمة للمصادر والمراجع.

خطة البحث

المبحث الأول : أحوال الدولة فى ظل خلافة المستعين بالله.

المبحث الثانى : علاقة الخليفة المستعين بالله بالسلطان وأمراء الدولة.

المبحث الثالث : تولى الخليفة المستعين بالله السلطنة وعزله.

المبحث الأول

أحوال الدولة فى ظل خلافة المستعين بالله

لم يتمتع الخليفة المستنعين بالله[١] (٨٠٨-٨١٧هـ/ ١٤٠٦-١٤١٤م) بسلطات أكثر من تلك التى كانت لأسلافه من قبل[٢]، والتى تقررت خلال دولة المماليك البحرية[٣] زمن السلطان الظاهر بيبرس[٤] (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٣م)، غير أن حال الخليفة المستعين بالله كان أصعب من

---

[١] هو العباس بن محمد بن أبى بكر بن سليمان بن أحمد بن حسن بن أبى بكر بن الفضل بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، أمير المؤمنين وخليفة آل العباس فى مصر، ولد فى خلافة أبيه المتوكل على الله الأول محمد بن أبى بكر للمرة الثالثة سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، بمدينة القاهرة ونشأ بها، وعندما بلغ الحلم، عهد إليه والده بأمر الخلافة وكان ذلك فى رجب سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، وعمره سبع عشرة سنة، وظل خليفة للمسلمين حتى سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، وكانت وفاته شهيدا بالطاعون فى جمادى الآخرة بالإسكندرية سنة ٨٣٣هـ/١٤٣٠م. (ابن الصيرفى توفى سنة ٨٤٢هـ/١٤٤٠م): نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق د/حسن حبشى – دار الكتب – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٧٣م، جـ٢ ص ٢١٧؛ السيوطى (توفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م، ص ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨). .

[٢] يشير القلقشندى (توفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م)، إلى حال الخلافة العباسية بمصر فيقول: إن الذى استقر عليه الخلفاء بالديار المصرية أن الخليفة يفوض الأمور العامة إلى السلطان، ويكتب له عنه عهد بالسلطنة ويدعى له قبل السلطان على المنابر، ويستبد السلطان بما عدا ذلك من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتى للخليفة نفسه، ويستأثر بالكتابة فى جميع الأمور؛ (القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، دار الكتب – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٢٢م، جـ ٣ ص ٣٧٥).

[٣] بقيام الخلافة العباسية فى مصر وجد بها حاكمان: أحدهما "السلطان" وهو الذى يرأس حكومة مصر، وثانيهما "الخليفة" الذى كانت سلطته صورية، ولما كان من الصعب القول بأنه كان هناك حد فاصل بين الأمور الدينية التى كان يصح أن تكون من اختصاص الخليفة وحده، والأمور السياسية التى كان يباشرها السلطان،فإن الخليفة لم يكن إلا مظهراً خداعاً، إذ أن مظاهر السيادة التى تمتع بها الخلفاء العباسيون فى مصر ثلاثة فقط وهى: السماح لهم بمنح السلطان تفويضاً يجعل حكمه شرعياً، وذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة، ونقشه على السكة (العملة)، ذلك أن السلطان حرم على الخليفة التدخل فى شئون الدولة السياسية إذا غيرها من حق السلطان دون سواه، الأمر الذى جعل سلطة الخليفة سلطة صورية، كما كانت وظائفه وهمية أكثر منها حقيقة واقعة. (د./ على إبراهيم حسن: دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٤٤م ص ٢٣٧، ٢٣٨ وما بعدها).

[٤] هو السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى، ولد سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، اشتراه الأمير علاء الدين البندقدارى صغيراً، ثم أخذه السلطان الصالح نجم الدين أيوب منه بعدما قبض عليه وجعله من مماليكه، شهد موقعة المنصورة ضد الفرنجة سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، وعرف بالشجاعة والجرأة، ثم تولى السلطنة المملوكية بعد مقتله لقطز فى ذى القعدة سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م، وكان ملكا مجاهدا مؤيدا، خليقا بالملك، توفى بدمشق =

حال من سبقه من الخلفاء بسبب سوء الأحوال الداخلية لدولة المماليك من الفتن والاضطرابات بالصراع على السلطة زمن السلطان الناصر فرج[١] (٨٠١-٨٠٨هـ/ ٣٩٩-١٤٠٥م) (٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م) [٢]، حيث امتلأ حكم السلطان الناصر فرج بالاضطرابات والثورات الداخلية فى ظل خلافة المستعين بالله[٣].

ونظرا لصغر سن السلطان الناصر فرج وحبه للهو والطرب والأكل والشرب وتحكم كبار الأمراء فى أمور الدولة ووصف المؤرخين له بأسوأ الأوصاف على أنه كان "أشأم ملوك الإسلام، فإنه خرب بسوء تدبيره جميع أراضى مصر وبلاد الشام" فى ظل خلافة المستعين بالله.

ففى ليلة الثامن والعشرين من شهر المحرم سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، توجه السلطان الناصر فرج

= فى الثامن والعشرين من شهر المحرم سنة ٧٧٦هـ/١٢٧٧م. (الذهبى توفى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د./ بشار عواد – دار الغرب الإسلامى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م، جـ ١٥ ص ٣٠٦؛ ابن كثير (توفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٥م): البداية والنهاية، تحقيق/ على شيرى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م، جـ ١٣ ص ٣٠٥؛ ابن تغرى بردى (توفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، تحقيق د/ محمد أمين – تقديم د/سعيد عاشور – الهيئة المصرية العامة للكتاب د.ت.ط. جـ٢ ص ٤٢٧).

[١] هو السلطان الملك الناصر زين الدين أبوالسعادات فرج بن السلطان الظاهر برقوق المصرى المولد والمنشأ، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية، ولد فى سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م قبل خلع أبيه من سن السلطانة، وحبسه بالكرك (قلعة حصينة فى= =أطراف الشام)، وتسلطن يوم موت أبيه سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، وكان عمره دون العشر سنين، وظل فى سلطنته إلى سنةو ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، ثم عزل، ثم عاد إلى السلطنة مرة ثانية ودام فيها حتى سنة ٨١٤هـ/١٤١١م، وتوفى سنة ٨١٥م/١٤١٢م، وكانت مدة سلطنته فى المرتين ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما. المقريزى (توفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق / محمد عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م، جـ ٥ ص ٤٤٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإراشد القومى – دار الكتب – القاهرة د.ت.ط، جـ ١٣ ص ٧٢؛ السخاوى (توفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع – دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – د.ت.ط.، جـ ١٦ ص ١٦٨).

[٢] تخلل فترتى حكم السلطان الناصر فرج، فترة حكم قصيرة للسلطان المنصور عبدالعزيز ابن شاهين (توفى سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م): نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق د:محمد كمال الدين عزالدين – نشر المكتبة الثقافية الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م ص ١١٥).

[٣] المقريزى: السلوك، جـ ٥ ص ٣٢٥؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٥١.

إلى بلاد الشام وذلك عندما علم بخروج الأمير شيخ المحمودى[١] نائب السلطنة[٢] بطرابلس[٣] عن طاعته، واصطحب الناصر فرج الخليفة المستعين بالله ومعه خزائنه وحريمه، وما إن علم الأمير شيخ بخروج السلطان الناصر لمحاربته حتى أعلن صراحة العصيان وخروجه عن طاعة السلطان، وما إن وصل السلطان الناصر فرج دمشق[٤] بجيشه ومعه

---

[١] هو أبو النصر الأمير شيخ بن عبدالله المحمودى الظاهرى، ولد سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، وتولى نيابة السلطنة بطرابلس سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، ثم وصلت به الأحداث حتى ولى السلطنة فى مصر والشام سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، بعد عزل الملك الناصر فرج. العينى (توفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق د/محمد محمد أمين – القاهرة – د.ت.ط ص٨٨؛ ابن تغرى بردى: مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة، تحقيق د/ محمد كمال الدين عزالدين – دار الكتب – القاهرة د.ت.ط، جـ٢ ص ١٣٦؛ ابن العماد (توفى سنة ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق/ محمود الأرناؤوطى – دار ابن كثير – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م، جـ ٩ ص ٢٤٠).

[٢] نائب السلطنة: مفرد نواب، وهو من يقوم مقام غيره فى أمر من الأمور، ويجمع على نواب، ونوب، وهى وظيفة جليلة القدر من الوظائف المهمة، استحدثها السلطان صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٨-١١٩٣م)، وذلك لكثرة غيابه عن مقر حكمه بالقاهرة فى جهاد الصليبيين بالشام، وكان يعهد بها إلى من يثق به من الأمراء، وقد تطور منصب نائب السلطنة ليصبح منصباً دائما فى سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، الذى اتسعت سلطاته وامتدت إلى حكم الولايات، مقلص سلطة الوزير وأصبح نائب السلطنة يتمتع بما كان يتمتع به الوزير من نفوذ وسلطة. ابن منظور (توفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، تحقيق/عبدالله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلى – دار المعارف – القاهرة – د.ط سنة ١٩٨٦م، جـ١ ص ٧٧٤؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ص ١٤٩).

[٣] طرابلس: مدينة عظيمة ذات بساتين وأشجار، تقع فى شمال لبنان على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بينها وبين بعلبك أربع وخمسون ميلا، وبينها وبين دمشق تسعون ميلا، بها الجوامع والمدارس والربط، وتتميز بكثرة منتجاتها الزراعية كالحمضيات والزيتون، إضافة إلى منتجاتها الصناعية كالحرير والزيت والصابون. شيخ الربوة (توفى سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م): نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية – الطبعة الأولى سنة ١٨٦٥م ص ٢٠٧؛ أبوالفداء (توفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م): تقويم البلدان، صححه ريفود البارون، مال كوكبيه ديسلان – المطبعة الملكية – باريس د.ط سنة ١٩٠٧م، ص ٣٥٣-٣٥٤؛ الحميرى (توفى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م): الروض المعطار فى خبر الأقطار تحقيق/ إحسان عباس – مؤسسة= =ناصر الثقافية – دار السراج – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م ص١٦، ١٧).

[٤] دمشق: بالكسر ثم الفتح ثم سكون المعجمة، وآخره قاف، مدينة قديمة مشهورة قاعدة الشام، قيل سميت بذلك لأنهم دمشقوا فى بنائها أى أسرعوا، وقيل هو اسم واضعها، وهو دمشق بن كنعان بن نوح عليه السلام، اشتهرت دمشق منذ القدم كمدينة تجارية تقصدها القوافل من بلاد فارس وآسيا الصغرى ومصر وشبه الجزيرة العربية، الأمر الذى ساعد فى تحولها إلى مركز ثقافى وسياسى وخاصة أيام الدولة الأموية. (المقدسى توفى سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الثالثة سنة ١٩٩١م ص ١٥٩-١٦٠؛ ياقوت الحموى (توفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م، جـ٢ ص ٤٦٣).

الخليفة المستعين بالله، إلا أن الأمير شيخ لاذ بالفرار هرباً من الحرب مع جيش السلطان الناصر فرج، فعزله من نيابة طرابلس، وولاها للأمير نوروز الحافظى[١]، غير أن الخطر الأكبر الذى هز ربوع الدولة فى مصر والشام والذى تعرض إليه السلطان الناصر فرج جاء من جانب الأميرين شيخ ونوروز، اللذين خرجا عن طاعة السلطان وأخذا فى إقطاع البلاد لأتباعهما وفى الاستيلاء على مختلف الحصون والقلاع ببلاد الشام[٢].

ففى أواخر عام ٨١٤هـ/١٤١٢م، أصدر السلطان الناصر أوامره بتجهيز العساكر والاستعداد لمحاربة كل من الأمير نوروز والأمير شيخ بصحبة الخليفة المستعين بالله، اللذان خرجا عن طاعته وحذفا اسمه من الخطبة بدمشق، اتجه السلطان الناصر بعد أن تجمعت قواته وواصل المسير صوب دمشق[٣].

وفى الجانب الآخر كان كل من نوروز وشيخ، يخشيان من قوة جيش السلطان فرج، لذلك حاولا عدم مواجهته وأخذا يتنقلان من مكان إلى آخر، مما دفع السلطان الناصر فرج فى تتبعهما بجيشه وقواته من بلد إلى بلد آخر حتى وصلا إلى اللجون[٤]، فتبعهم السلطان الناصر فى يوم الإثنين فى الثالث عشر من شهر المحرم سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، وهو سكران لا يعقل[٥].

---

[١] هو الأمير سيف الدين نوروز بن عبدالله الحافظى الظاهرى برقوق، تولى عددا من الوظائف، منها نيابة السلطنة بطرابلس، كما كان له دور كبير فى عزل السلطان الناصر فرج وتولى الخليفة المستعين بالله السلطنة كما سنذكر، ومات فى ربيع الآخر سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م. (السخاوى): الضوء اللامع، جـ١٠ص ٢٠٤؛ ابن إياس (توفى سنة ٩٣٠هـ/١٥٣٤م): بدائع الزهور فى وقائع الدهور – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م، جـ١ ص ٦٥٠، ٦٥١).

[٢] المقريزى: السلوك، جـ٦ ص ٢٢٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١ ص ٧٩٣.

[٣] المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزى، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م، جـ ٣ ص ١٣٨؛ السيوطى: حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق / محمد أبوالفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م، جـ٢ ص ٩٥.

[٤] اللجون: فى الأصل هى كلمة لاتينية تعنى الفرقة العسكرية، وهى إلى الشمال الشرقى من مدينة الكرك (الأردن حاليا) بينها وبين طبرية عشرون ميلا، وإلى الرملة أربعون ميلا. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٥ ص ١٣، ١٤).

[٥] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٤٠.

ومما يذكر أن السلطان الناصر فرج كان كثير السكر، شديد التهور، سفاكاً للدماء، قتل عددا كبيرا من مماليك والده السلطان الظاهر برقوق[١]، مما جعلهم يفرون منه ويلتجئون إلى عدويه نوروز وشيخ[٢].

وفى الرابع عشر من شهر المحرم سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، وقبل بدء المعركة استشار السلطان الناصر فرج الخليفة المستعين بالله وبعض الأمراء فيما يفعله، فأشاروا عليه بعدم القتال والعودة إلى القاهرة[٣]، وبث الطمأنينة فى قلوب جنده وعساكره ومماليكه، غير أن السلطان الناصر فرج لم يأخذ بهذا الرأى، ورفض العودة إلى القاهرة إلا بعد إنزال الهزيمة بكل من نوروز وشيخ، فى الوقت الذى بلغ التعب والإعياء بجيش السلطان الناصر فرج إلى حد لا يوصف، مما دفع الكثير من أمرائه إلى حثه على عدم الدخول فى المعركة إلا بعد استراحة قصيرة يستعيد فيها جيشه وجنده قوتهم السابقة، غير أن السلطان الناصر فرج أصر على الدخول فى المعركة قبل هروب نوروز وشيخ إلى مكان آخر[٤].

---

[١] هو السلطان الظاهر أبوسعيد سيف الدين برقوق الجركسى، السلطان الأول من سلاطين الجراكسة، وسمى برقوق لبروز فى عينه كان يشبه البرقوق، كان مملوكا لرجل يسمى الخواجة عثمان ثم ملكه الأشرف شعبان، وأخذ يترقى فى المناصب حتى ولى – السلطنة من الثامن عشر من رمضان سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، ثم خلع فى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، ثم أعيد إليها مرة أخرى فى سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م، وظل بها حتى وفاته فى شوال سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، وكان مدة سلطنته فى المرتين ستة عشر عاما ونصف. ابن حجر (توفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): ذيل الدرر الكامنة، تحقيق د/ عدنان درويش – القاهرة د.ط. سنة ١٩٩٢م ص ٢٢؛ العصامى (توفى سنة ١١١١هـ/١٦٩٩م): سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل والتوالى، تحقيق/ عادل أحمد عبدالموجود، على محمد معوض= =– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م، جـ ٤ ص ٣٨، ٣٩.

[٢] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٤٠.

[٣] القاهرة: عاصمة جمهورية مصر العربية وأكبر المدن العربية والإفريقية، ويمر بها نهر النيل العظيم فيشطرها شطرين: غربى وشرقى، ومنها تتفرع سائر طرق المواصلات النهرية والبرية وطرق سكك الحديد التى تصلها بمختلف القرى والمدن الواقعة فى الدلتا شمالا، وفى الصحراء الغربية والشرقية غربا وشرقا وفى صعيد مصر فى الجنوب، وبالنسبة إلى الصناعة فى القاهرة فمنها الحديد والصلب وصناعة السيارات وصناعة السكر والغزل والنسيج والسجاد الفاخر، إضافة إلى الصناعات الكيمياوية مثل تكرير النفط وصناعة الأسمدة والمواد البلاستيكية والمبيدات. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ٧ ص ٣٠١؛ يحيى شامى: موسوعة المدن العربية والإسلامية – دار الفكر العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م ص ٢٠٥-٢٠٦).

[٤] المقريزى: الخطط، جـ ٣ ص ١٣٨؛ ابن حجر (توفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق وتعليق د/حسن حبش، لجنة إحياء التراث العربى – القاهرة – سنة ١٩٦٩م، جـ ٣ ص ٥٠٦.

ولم تمض ساعات قليلة من بدء المعركة إلا ولحقت الهزيمة بجيش السلطان الناصر فرج، وقتل عدد كبير من كبار الأمراء، فى حين اتجه السلطان فرج بعد هزيمته إلى دمشق[١].

ويجب الإشارة إلى عدة حقائق كانت سبباً فى إنزال الهزيمة بجيش السلطان الناصر فرج منها: سوء معاملة الناصر لأمرائه ومماليكه. الأمر الذى أدى إلى إنسحاب معظم الأمراء والمماليك وانضمامهم إلى قوات نوروز وشيخ، كذلك عدم الأخذ بمشورة الخليفة المستعين بالله وبعض الأمراء، والتى كانت توصى بعدم الدخول فى المعركة ضد الأمراء الخارجين عليه والعودة إلى القاهرة، وبث الطمأنينة فى قلوب جنده وأمرائه ومماليكه، إضافة إلى ما سبق، تسرع الناصر فرج فى الدخول فى المعركة قبل استعادة جيشه لقوته، خصوصاً بعد التعب والإرهاق الذى أصاب جيشه، نتيجة السير المتواصل لفترات طويلة.

ولما بلغ الأميران نوروز وشيخ أن السلطان الناصر فرج تحصن بدمشق، أراد كل منهما أن يكون هو الأمير الأكبر، لذلك لم يتفقا على من ستكون له الكلمة العليا المسموعة، نتيجة الخلاف السياسى الذى حدث بينهما عندما أرادا كتابة رسالة إلى الأمراء بالقاهرة ليعلموهم حقيقة هزيمة السلطان الناصر فرج، فرفض كل منهما أن يتنازل للآخر بأن يكتب باسمه، فأشار عليهما كاتب السر[٢] فتح الله[٣] الذى كان بجانب السلطان الناصر فرج عندما خرج لمحاربة نوروز وبعد هزيمة الناصر فرج انضم بجانب نوروز وشيخ، بأن يكتب كل منهما رسالة باسمه ويرسلها إلى الأمراء بالقاهرة، بالإضافة إلى أن يكتب الخليفة المستعين بالله هو الآخر رسالة يوضح فيها ما حصل لجيش السلطان من هزيمة، فقد قام الأميران نوروز وشيخ بالتحفظ على الخليفة المستعين بالله

---

[١] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٢ ص ٣٠٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٤١.

[٢] هو رئيس ديوان الإنشاد، وكان منوط بهذا الديوان الإشراف على البريد، وكتابة مراسيم توليه الخلفاء والسلاطين والأمراء ونظرا لخطورة هذا المنصب والمهام المنوطة به، فكان لا يشغله إلا كبار العلماء المعروفين بالخبرة والفصاحة والبلاغة ومنه الإنشاء. (ابن الصيرفى: القانون فى ديوان الرسائل، تحقيق د/أيمن فؤاد سيد – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م، ص ٨، ١٤؛ ابن العمرى (توفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار" دولة المماليك الأولى" دراسة وتحقيق/ دورنياكرا فولسكى – نشر المركز الإسلامى للبحوث – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م ص ١٢٠؛ د./ عبدالمنعم ماجد: التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر دراسة تحليلية للازدهار والانهيار – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة سنة ١٩٨٨م ص ١٣.

[٣] هو فتح الله بن معتصم بن نفيس العنانى التبريزى رئيس الأطباء وكاتب العمر، ولد تبريز سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م، ثم صحبة والده إلى القاهرة فنشأ بها فى كفالة عمه فبرع فى الطب وتولى رئاسته، ثم تولى كتابة العمر سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م، فى سلطنة الظاهر برقوق. (المقريزى: الخطط، جـ٣ ص ٦٢).

وبعض القضاة بعد هزيمة السلطان الناصر فرج، ورفضا السماح لهم بالتوجه إلى دمشق ولإنضمام إلى جانب السلطان الناصر فرج مرة أخرى[١].

أما عن الجانب الأخر فقد أخذ السلطان الناصر فرج فى الاستعدادات مرة أخرى لمواصلة الحرب واستدعى الأمراء والأعيان ووعدهم بالخير فى نظير نصرته والوقوف بجانبه، فانقادوا له، وأخذ فى ترتيب أموره، وتزايدت قواته شيئا فشيئا، ولم يكتف السلطان الناصر فرج بكل هذه الاستعدادات والترتيبات استعدادا للحرب، وإنما أخذ يمارس بعض الأساليب الدبلوماسية، فأشار على أرباب الدولة ومن معه من الأعيان على المناداة بأن السلطان أمر بإبطال المكوس[٢]، وإزالة المظالم، حتى يجذب إليه قلوب أهالى بلاد الشام، وبالفعل جاءت هذه السياسة بثمارها ونتائجها الطيبة، فمال الشاميين إلى جانب السلطان الناصر فرج[٣].

وعندما وجد الأميرين نوروز وشيخ أن السلطان الناصر فرج قد استعاد قوته مرة أخرى، كان عليهما أن يعملا بسرعة خشية اجتماع الأمراء فى جانب السلطان الناصر فرج، فى حين أنهما كانا متفرقين كل يعتبر نفسه الأمير الكبير صاحب الكلمة المسموعة، فرأى فتح الله كاتب السر الاستعانة بالخليفة المستعين بالله، وذلك لما يتمتع به من تأثير على طوائف المجتمع فى مصر والشام بصفته خليفة المسلمين، بأن يصدر فتوى شرعية بعزل السلطان الناصر فرج من السلطنة، كما يوضح فى هذه الفتوى أن السلطان خرج عن الدين ووقع فى المحرمات، وبذلك يضمن خروج جميع الأمراء والجنود على السلطان الناصر فرج نتيجة عدم شرعية حكمه، وفى الوقت نفسه يعلن بأن الخليفة المستعين بالله هو صاحب الأمر وحاكم البلاد، فلا يستطيع أحد الخروج عليه، وفى الوقت نفسه يعيد الأمور إلى نصابها بإعادة الوئام بين كل من نوروز وشيخ، وقد قبل الأميران نوروز وشيخ هذا الحل المؤقت لعدم إثارة الفتن بينهما انتظارا إلى من ستؤول إليه السلطنة[٤].

---

[١] السخاوى: الذيل على رفع الإصر، تحقيق د./ جودة هلال، أ/محمد محمود صبح، ومراجعة أ/على البجاوى (بدون)، ص ٩١.

[٢] المكوس: جمع مكس، وهى ضريبة كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق. (ابن منظور: لسان العرب، جـ٨ ص ١٠٥؛ محمد قنديل البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٣م ص ٣٢٥.

[٣] المقريزى: السلوك، جـ٦ ص ٢٣١؛ ابن حجر: إنباء الغنر. جـ٣ ص ٥٠٧؛ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٤٤.

[٤] المقريزى: الخطط، جـ٢ ص ٦٢؛ السلوك، جـ٦ ص ٣١٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٣ ص ١٩٣.

المبحث الثانى
علاقة الخليفة بالسلطان والأمراء

يروى المقريزى فى حوادث سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م إنه عندما فشل كل من الأمير نوروز وشيخ للوصول إلى حل لإنقاذ موقفهما السيئ، قاما باستدعاء كاتب السر فتح الله وسألاه المشورة فيما يعملاه، فقال لهما: "ما هكذا يقاتل السلطان" وذكر لهما ما هم فيه من الفرقة، وعدم الانقياد إلى واحد منهما ، وإن كلا منهما يرى أنه الأمير الكبير، وهذا أمر لابد فيه من إقامة شخص ترجع إليه جميع الأمور وتصدر عنه وأشار بأن "يقيموا الخليفة المستعين بالله وأن يقوموا معه، فإن أحدا لا يتجاسر عليه". فقبل كل من نوروز وشيخ هذه المشورة لفترة مؤقتة[١].

ويجب الإشارة إلى الأسباب التى دفعت كاتب السر فتح الله إلى التفكير فى تقليد الخليفة المستعين بالله أمور البلاد، فقد أحس فتح الله كاتب السر أن الأمور قاربت على الخروج من يد الأميرين نوروز وشيخ بعد استعادة السلطان الناصر فرج لقوته، خاصة وأن كلاً من نوروز وشيخ مختلفا الرأى، فرأى فتح الله كاتب السر الاستعانة بالخليفة المستعين بالله، كحل مؤقت من ناحية، وللتخلص من السلطان الناصر فرج من ناحية أخرى، ثم يستطيع القوى كل من نوروز وشيخ أن يتخلص من الآخر ويقبض على زمام الأمور فيما بعد، خاصة وأن الخليفة المستعين بالله كان لا يتمتع بقوة عسكرية ضاربة يستطيع بها منازلة أحدهم إذا حاول أحدهم أن يقصيه عن عرش البلاد[٢].

وقد فهم الخليفة المستعين بالله كل هذه الأمور فهما كاملا، خاصة وأنه تربى فى مصر وشاهد وسمع بالمؤامرات والدسائس التى قام بها الأمراء والمماليك للقبض على الأمور، وعلم علم اليقين، أنه من المستحيل أن يترك هؤلاء الأمراء حكم مصر والشام يخرج من أيديهم إلى أيدى الخلفاء، كما علم أن هذا الإجراء ما هو إلا حيلة للوصول إلى هدف معين هو فى النهاية الوصول إلى السلطنة وحكم البلاد. لذلك رفض الخليفة المستعين بالله رفضاً قاطعاً عما عرضه عليه كاتب السر فتح الله والأميرين نوروز وشيخ من توليه السلطنة المملوكية وحكم البلاد، لكنه أجبر على القبول حينما أوقعوه فى خلاف شديد مع السلطان الناصر فرج حتى يقطعوا عليه طريق الرجعة ويجعلوه مضطرا

---

[١] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ ٢ ص ٣٠٦، المقريزى: الخطط، جـ٢ ص ٦٢؛ السلوك، جـ٦ ص ٣٢٩.

[٢] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٢ ص ٣١٠؛ المقريزى: السلوك، جـ٦ ص ٣٣٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٣ ص ٥٠٧.

لقبول سلطنة المماليك وحكم البلاد وإصدار فتوى بخلع السلطان الناصر فرج من السلطنة المملوكية وحكمه للبلاد[١].

أثمرت السياسة التى اتبعها كل من الأميرين نوروز وشيخ فى تنصيب الخليفة المستعين بالله حاكماً للبلاد – كما سنذكر – والفتوى الشرعية بخلع السلطان الناصر فرج، فقد أثمرت هذه السياسة ثمارها، فانقسم الأمراء والجنود الموالون للسلطان الناصر فرج إلى قسمين:

أ) قسم يرى أن مخالفة السلطان الناصر فرج كفر، لأن السلطان عزل عن السلطنة ومن قاتل معه فقد عصى الله ورسوله[٢].

ب) قسم أخر يرى أن القتال مع السلطان الناصر فرج واجب وأنه باقٍ فى السلطنة، ومن قاتل ضده إنما هو باغ عليه وخارج عن طاعته[٣].

غير أن أنصار الفريق الأول كانوا أكثر بكثير من أنصار الفريق الثانى، مما أدى إلى انصراف أهل دمشق عن السلطان الناصر فرج وتفرق عسكره، وخافوا عاقبة مخالفة أمير المؤمنين فى الدنيا والآخرة[٤].

وفى يوم السبت الخامس عشر من شهر المحرم سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، خلع السلطان الناصر فرج من السلطنة واستقر فى السلطنة الخليفة المستعين بالله، وقد أجمع الأمراء على ذلك فلم يوافقهم الخليفة إلا بعد شدة وتوثيق منهم بالإيمان فاشتد امتناع الخليفة أكثر، فقام كاتب السر فتح الله والأميرين شيخ ونوروز بإرسال جماعة إلى الخليفة المستعين بالله لإقناعه بقبول السلطنة، وكان منهم: محمد بن مبارك الطازى (أخو الخليفة المستعين بالله لأمه)، ورتب معه ورقة فيها مثالب السلطان الناصر فرج، وأن الخليفة عزله من السلطنة، فلا يحل لأحد من المسلمين القتال معه ولا مساعدته فإنه فعل وفعل، وقرأها الأمير شيخ أمام الجميع، حتى بلغ ذلك السلطان فرج وتحققه، فتوعدا الخليفة المستعين بالله بكل سوء ظناً منه أن ذلك من تدبيره[٥].

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ ٦ ص ٣٣١؛ ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٣ ص ٨٥؛ حسن المحاضرة، جـ٢ ص ٨٥.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ ٦ ص ٣٢٢× ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٤٧.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ ٦ ص ٣٢١؛ العينى (توفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م): السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد "شيخ المحمودى"، حققه وقدم له أ/ فهيم محمد شلتوت، مراجعة د/محمد مصطفى زيادة – دار الكتب – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٩٨م، ص ٢٥٩.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٣ ص ٥٠٧، ٥٠٨؛ العينى: السيف المهند ص ٢٥٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ ١٣ ص ١٩٢.

(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٣ ص ٥٠٧، ٥٠٨؛ العينى: السيف المهند ص ٢٥٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ ١٣ ص ١٩٢.

وفى تلك الأثناء حدث ما لم يكن فى الحسبان من تدبير الأميرين نوروز وشيخ، ففى السادس عشر من شهر المحرم سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، وصلت جموع من التركمان لنجدة السلطان الناصر فرج، مما قوى من شأنه، وأوقع فى قلوب نوروز وشيخ وبقية الأمراء، مما دفعهم إلى الاجتماع وإعادة تقرير ولاية الخليفة المستعين بالله عليهم حتى يقفوا جميعاً وراء الخليفة، وتشجيعاً له وحثه على الثبات "حلفوا بأجمعهم يميناً مغلظاً لأمير المؤمنين بأنهم يلزمون طاعته، ويأتمرون بأمره، وأنهم رضوا بأنه الحاكم عليهم، وأن يستبد بالأمور من غير مراجعة أحد، وأنهم لا يسلطنون أحداً غيره طول حياته"[١].

ومن القسم السابق بدأ الخليفة المستعين بالله يتراجع فى موقفه نتيجة علمه اليقين أن هؤلاء الأمراء لم يختاروه حاكماً للبلاد إلا لفترة مؤقتة وحتى تهدأ الأمور ثم يقومون بعزله وتنصيب الأمير الأقوى، لذلك أقسموا له بأنهم "لا يسلطنون أحداً غيره طول حياته" تطميناً له[٢].

وفى صبيحة يوم السابع عشر من شهر المحرم من العام نفسه نادى منادى الخليفة المستعين بالله "ألا إن فرج بن برقوق قد خلع من السلطنة، ومن حضر إلى أمير المؤمنين وابن عم رسول الله فهو آمن!" فتسلل الناس وعدد كبير من أمراء السلطان عنه[٣].

وفى تلك الأثناء اجتمع الأمراء بدار السعادة[٤]، وشرعوا فى كتابه محضر بإقامة البينة على السلطان الناصر فرج وخلعه من السلطنة، وأشاروا على الخليفة المستعين بالله بأن يكتب إلى أهل مصر يخبرهم بخلع السلطان الناصر فرج وخروجه على الدين، وأنه سفاك للدماء، مدمن للخمر، وقد وقع فى أشياء توجب الكفر، ويعلمهم بتوليه عرش السلطنة المملوكية[٥]، كما أشاروا بأن يكتب الخليفة المستعين بالله والقضاة محضراً يحكمون فيه بإراقة دم السلطان الناصر فرج لكونه خارجاً عن الدين[٦].

---

[١] المقريزى: السلوك، جـ ٦ ص ٣٢٢؛ العينى: السيف المهند ص ٢٥٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٩٢.

[٢] المقريزى: السلوك، جـ ٦ ص ٣٢٣؛ العينى: السيف المهند ص ٢٦٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٩٢.

[٣] ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٣ ص ٥٠٨؛ العينى: السيف المهند ص ٢٥٩.

[٤] دار السعادة: اسم لدار العدل التى أنشأها نور الدين محمود زنكى (٥١١- ٥٦٩هـ/١١١٨-١١٧٤م)، وقد تطور هذا المدلول فى العصر الأيوبى والمملوكى حتى أصبح يطلق على مقر نواب السلطنة بدمشق، وكان موقعها غربى التكية الأحمدية (جامع الأحمدية) فى سوق الحميدية بدمشق، وقد انتقل هذا الاسلم من دمشق إلى جميع الممالك الملوكية، فأصبح فى كل من القاهرة، ودمشق وغيرها دار السعادة ثم أطلق على عاصمة العثمانيين وكانت استانبول تسمى بدار السعادة. (محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ص ٧٢؛ مصطفى عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م).

[٥] العينى: السيف المهند، ص ٢٦٠؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ٢ ص ٨١٩.

[٦] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٣ ص ٩٢؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ٢ ص ٨٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢ ص ٨٢٠.

ونتيجة لذلك انفصل عن السلطان الناصر فرج عدد كبير من أمرائه وأتباعه، مما أدى إلى ضعف موقفه، على الجانب الآخر اشتد موقف الأميرين نوروز وشيخ فى محاصرة دمشق[١]، الأمر الذى دفع السلطان الناصر فرج إلى التحصن بقلعة دمشق، فما كان من الأميرين نوروز وشيخ إلا أن شددا الحصار على قلعة دمشق، فى الوقت الذى تسرب فيه معظم جنود وأمراء السلطان الناصر فرج وانضموا إلى جانب الخليفة المستعين بالله ونوروز وشيخ[٢].

ففى الثامن من شهر صفر سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م قامت معركة بين السلطان الناصر فرج ومن معه وبين الأميرين شيخ ونوروز ومن معهم، لكن سرعان ما أسفرت هذه المعركة عن هزيمة السلطان الناصر فرج بعدما قام مناد "نصر الله أمير المؤمنين" فترك الرماة أماكنهم، وتخوفوا على أنفسهم، مما اضطر السلطان الناصر فرج إلى النزول من قلعة دمشق، وتسليم نفسه إلى الأمير شيخ[٣]، فاجتمع الخليفة المستعين بالله بالأمراء والفقهاء والعلماء من مصر والشام وقرروا جميعاً إراقة دم السلطان الناصر فرج[٤].

وبالفعل تم اغتيال السلطان الملك الناصر فرج فى ليلة السبت السادس عشر من شهر صفر سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م فى دمشق[٥] بأيدى المشاعلية[٦].

---

[١] دمشق: بالكسر ثم الفتح ثم سكون المعجمة، وآخره قاف، هى مدينة قديمة مشهورة قاعدة الشام، قيل سميت بذلك لأنهم دمشقوا فى بناءها أى أسرعوا وقيل هو اسم واضعها وهو دمشق بن كنعان بن نوح (عليه السلام)، وكانت تعد من أكبر النيابات المملوكية، حيث كان يعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام، كما عرفت بالنيابة العظمى. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٢ ص ٤٦٢؛ ابن كنان (توفى سنة ١١٥٣هـ/١٧٣٩م): المواكب الإسلاميةفى الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق د/حكمت إسماعيل، مراجعة/ محمد المصرى – منشورات وزارة الثقافة – سوريا – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م، ص ١٥٥؛ نقولا زيادة: دمشق فى عصر المماليك، مكتبة لبنان – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م ص ٩).

[٢] ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٣ ص ٥٠٩؛ العينى: السيف المهند ص ٢٦٠.

[٣] بذكر إبن إياس أن الأمير نوروز الحافظى كان متزوجا من أخت السلطان الملك الناصر فرج، فلو كان سلم نفسه إلى الأمير نوروز ما تمكن أحد من قتله، وما أصابه سوء، وضمن الأمان على نفسه، إلا أنه سلم نفسه للأمير شيخ أملم يعطه الأمان فى الوقت الذى تظاهر شيخ برفض قتل السلطان الناصر فرج الذى أخذ أمر قتل السلطان حجة وتهديد للأمير نوروز إذا حاول الانفراد بحكم البلاد بعد ذلك. (إبن إياس: بدائع الزهور، جـ ٢ ص ٨١٩–٨٢٠).

[٤] العينى: السيف المهند ص ٢٦٠؛ السيوطى: حسن المحاضرة جـ١ ص ٨٦؛ إبن إياس: بدائع الزهور، جـ٢ ص ٨٢٠؛ د/إيناس: دولة المماليك البداية والنهاية، دار التعليم الجامعى – الإسكندرية – الطبعة الأولى سنة ٢٠١٥ ص ٤٨.

[٥] ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٣ ص ٥١١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ٢ ص ٨٢٠.

[٦] المشاعلية: هم الذين يحملون مشعلا يقاد بالنار بين يدى الأمراء ليلا، ولهم ضرب عنق الأمير العاصى على السلطان. (تاج الدين السبكى (توفى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م): معبد النعم ومبيد النقم، حققه وضبطه وعلق عليه د/ محمد على النجار، د/ أبوزيد شلبى، دار الكتاب العربى – القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨م، ص ١٤٣؛ ابن تغرى بردى: مورد للطاقة فيمن ولى السلطنة والخلافة، تحقيق د/ نبيل محمد عبدالعزيز – دار الكتب – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م ص ١٣١ حاشية ١٢؛ د/ نبيل محمد عبدالعزيز: موسوعة تاريخ وآثار مصر الإسلامية، القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ص ١١٦١.

وكان الخوف من السلطان الناصر فرج هو الذى دفع كبار الأمراء ومن بينهم الأميران نوروز الحافظى وشيخ إلى المناداة بسلطنة الخليفة المستعين بالله، فإن التخلص من السلطان الناصر فرج على النحو السابق[١]، أزال ذلك الخوف، لكن الأمور لم تهدأ بعد، إذ ظل الخلاف بين كل من الأمير نوروز الحافظى والأمير شيخ قائماً، فكل منهما يريد أن ينتهز الفرصة للانقضاض على السلطنة، ونتيجة تخوف الأمراء من بعضهم اتفقا أن لا يتسلطن أحدهما، إنما يتسلطن الخليفة المستعين بالله، فطلبوه وأحضروا له خلعة السلطنة، فامتنع غاية الامتناع، حتى أجاب بعد أن اشترط على الأمراء شروطاً كثيرة منها: أنه قال لهم: "إذا خلعت من السلطنة تبقونى فى الخلافة على حالى الأول"، فأجابوه إلى ذلك[٢]، واتفق كل من الأمير نوروز الحافظى وشيخ على أن يسيرا إلى مصر صحبة الخليفة المستعين بالله ويكونا فى خدمته[٣].

---

[١] يروى كل من ابن حجر وابن تغرى يروى أن السلطان الناصر فرج نزل من قلعة دمشق ودخل على الأمير شيخ، فلما رآه قبل الأرض بين يديه وأجلسه وسكن من روعه، فبات السلطان الناصر تلك الليلة حتى كان صبيحة اليوم التالى قيده ثم أرسل إليه محمد مبارك الطازى ورجل آخر من خواص الأمير نوروز ثم تقدم إليه أحدهما فخنقه، فلما ظن أنه قضى عليه تركه ثم تحرك السلطان الناصر فرج فعاد إليه مرة بعد مرة حتى ضربه بخنجرا أودى بحياته، ثم سحبه فألقاه فى مزبلة تحت السماء ليس عليه سوى لباسه وعيناه مفتوحتان، يمر به القريب والبعيد، لا أحد يحن عليه ويعبثون بلحيته، فأقام على ذلك ثلاثة أيام لم يدفن، حتى أتى إليه بعض الناس فى الليل وحمله إلى مكان حتى غسله وكفنه، ودفنوه بمقبرة باب الفراديس. (ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٣ ص ٥١١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ٢ ص ٨٢٠ ، ٨٢١).

[٢] ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٣ ص ٥١١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ٢ ص ٨٢٣.

[٣] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ ٢ ص ٣١١؛ ابن تغرى بردى: النجوم، جـ ١٣ ص ٢٠١.

المبحث الثالث

تولى الخليفة المستعين بالله السلطنة وعزله

قبل أن نمضى فى الحديث عن تولى الخليفة المستعين بالله السلطنة وسياسته فى مصر والشام، نشير إلى أن ولاية الخليفة المستعين بالله لإدارة شئون البلاد، لم تكن هى أول محاولة قام بها الخلفاء العباسيون فى مصر لتولى السلطنة زمن سلاطين المماليك.

فتشير المصادر التاريخية إلى أن وصول الخليفة المستعين بالله إلى السلطنة المملوكية فى مصر والشام لم تكن هى أول محاولة قام بها الخلفاء العباسيون لشغل منصب السلطنة، وإنما حدث زمن والده الخليفة المتوكل على الله[١].

ففى سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، بعد هزيمة السلطان الأشرف شعبان[٢] (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م) عند حروج مماليكه عليه[٣]، وهروبه إلى القاهرة، اتفق جميع الأمراء وغيرهم وتوجهوا إلى الخليفة المتوكل على الله وقالوا له: "يا أمير المؤمنين تسلطن ونحن بين يديك" فامتنع الخليفة المتوكل عن قبول السلطنة[٤].

---

[١] هو أبوعبدالله محمد بن أبى بكر المعتضد بالله بن سليمان المستكفى بن أحمد العباسى، ولى الخلافة بعهد من أبيه بعد وفاته فى جمادى الأولى سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م، وقد امتدت أيامه سنة بما تخللها من حبس وخلع، وقد أنجب عدة ذكور وإناث ولى الخلافة من الأولاد خمسة: المستعين بالله، والمعتضد داود والمستكفى سليمان، والقائم حمزة، والمستنجد يوسف، واستمر المتوكل إلى أن مات فى الثامن من شهر رجب سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م. (ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ ٢ ص ٢٢٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٦ ص ٣٧٥؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٤٦٤؛ د/ إيلى منيف شهلة: الأيام الأخيرة فى حياة الخلفاء، راجعه وقدم له/ محمد عبدالرحيم – دار الكتاب العربى – دمشق – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م، ص ١٥٧، ١٥٨). .

[٢] هو السلطان الأشرف شعبان بن السلطان حسن بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ولى عرش السلطنة المملوكية ولم يتجاوز العاشرة من عمره، وفى سلطنته حدثت فتن واضطرابات كثيرة منها هجوم الصليبين على الإسكندرية سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، وكانت وفاته سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م. (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١١ ص ٢٤).

[٣] استانلى لين بول: تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف فى الإسلام من القرن الرابع الهجرى العاشر إلى التاسع عشر الميلادى، ترجمة للفارسية د/عباس إقبال، ترجمه عن الفارسية/ مكى طاهر – الدار العربية للموسوعات – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ٢٠٦ ص ١٠٠.

[٤] ابن خلدون (توفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، اعتنى به/أبوصهيب الكرمى – بيت الأفكار الدولية – السعودية – الأردن – د.ت.ط. ص ١٥٠٢؛ المقريزى: السلوك، جـ ٥ ص ١٥١، ١٥٢.

وبالرغم من رفض الخليفة المتوكل على الله قبول السلطنة، إلا أنه وبعد سلطنة الملك الظاهر برقوق سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، فكر جدياً فى الإطاحة بحكم السلطان برقوق وأن يتقلد هو حكم البلاد، ففى شهر رجب سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، وصل إلى مسامع السلطان الظاهر برقوق أن الخليفة المتوكل على الله اتفق مع جماعة من الأمراء.[١]، وعدد من الأكراد والتركمان وكانوا حوالى ثمانمائة فارس، أن يقوموا بالوثوب على السلطان والفتك به، لكن سرعان ما علم السلطان الظاهر برقوق بذلك فقام باستدعاء الأمراء والخليفة المتوكل على الله، فأنكر الخليفة ما نسب إليه إلا أن الأمراء اعترفوا بتفاصيل هذه الحادثة، فعوقب الجميع، وتم سجن الخليفة مقيداً"[٢].

وإذا كان الخليفة المتوكل على الله قد أعيد بعد فترة إلى الخلافة وشهد وفاة السلطان الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م وعرض عليه الأمراء سلطنة المماليك وإدارة شئون البلاد، إلا أنه رفض قبول السلطنة، لإيمانه التام بأنه لن يستطيع أحد الأفراد أن يلى سلطنة المماليك إلا إذا سانده أمراء أقوياء من المماليك، وبسبب المدة الطويلة التى قضاها وراء كواليس الحكم خلف السلاطين والأمراء، وما شاهده من تكالب الأمراء على السلطنة والمؤامرات والدسائس التى يقومون بها من أجل الوصول إلى مصالحهم الخاصة[٣].

ويبدو أن الخليفة المستعين بالله بن الخليفة المتوكل على الله قد شعر بنفس شعور أبيه. لذلك أصر على عدم قبول السلطنة عندما عرضت عليه كما أشرنا، لكنه أجبر على قبولها[٤].

وبقبول الخليفة المستعين بالله السلطنة فى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر المحرم سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، فرح الأمراء بذلك وبايعوه جميعهم، وقبلوا يده، وحلفوا له على الطاعة والولاء، ووقف معظم الأمراء بين يدى الخليفة المستعين بالله السلطان على مراتبهم يؤدون إليه الخدمة ويقبلون الأرض بين يديه كما كانوا يفعلون من قبل مع سلاطين المماليك[٥].

---

[١] كان من بين هؤلاء الأمراء، الأمير قيرط بن عمر التركمانى، الأمير إبراهيم العلائى. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١١ ص ٧٨؛ د/ إبراهيم طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠م، ص ٥٣.

[٢] ابن ظهيرة (توفى سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م): الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق/مصطفى السقا، كامل المهندس – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٩٦م، ص١٩٦؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ٢ ص ١١٩.

[٣] المقريزى: السلوك جـ ٥ ص ١٥٤، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١١ ص ٢٣٤؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٨٥.

[٤] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص ١٩٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٨٧.

[٥] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص ١٩٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١ ص ٣٥٧.

وتسلطن الخليفة المستعين بالله فى دمشق وبدأ فى ممارساته السياسية أثناء وجوده بالشام وقرر الأمير نوروز الحافظى، وفوض له الخليفة المستعين بالله السلطان كفالة الشام كلها بجميع نياباتها[١]، وجعل له تعيين الأمراء، وإقطاع الإقطاعات من غير مراجعة فى ذلك، غير أنه يطالع الخليفة المستعين بالله السلطان بما يجرى، الأمر الذى جعل خروج بلاد الشام عن يد الخليفة السلطان، وأصبح فى يد الأمير نوروز[٢]، ولم يعد للخليفة السلطان أى حق سوى تشريفه بمنح الخلع والتشاريف والتقاليد لمن يختاره ويقرره الأمير نوروز فى حكم مختلف بلاد وقرى الشام[٣]، وعلى الجانب الآخر قرر الخليفة المستعين بالله السلطان أن يتوجه إلى القاهرة بصحبة الأمير شيخ، ويكون أتابك العسكر[٤] بالقاهرة[٥].

وهكذا اقتسم حكم البلاد كل من الأميرين الكبيرين شيخ ونوروز، فكان الشام من نصيب الأمير نوروز، وكانت مصر من نصيب الأمير شيخ، لكن إذا كان نوروز قد قنع ببلاد الشام، فإنه أخذ بممارسة سلطاته فيها دون منازع، حيث لا يوجد بها سلطان ولا خليفة، أما بالنسبة للأمير شيخ، فإن مصر كانت هى مقر الحكم، لذلك عمل شيخ أن ينفرد بالحكم فعمل على تقويض نفوذ الخليفة المستعين بالله السلطان[٦].

---

[١] كانت بلاد الشام مقسمة إداريا على هذا النحو من النيابات: دمشق – حلب – حماة – طرابلس – صفد – الكرك – غزة. (القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٤ ص ٩٢، ١٤١، ١٨٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٥ ص ٦٩؛ محمد بك فريد: الدولة العلية العثمانية، تحقيق/إحسان حقى – دار النفائس – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م، ص ٩٦).

[٢] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٢ ص ٣١١؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٣ ص ٢٠.

[٣] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٢ ص ٣١١؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ٢١.

[٤] أتابك أو أطابك: أطلق لقب أتابك العسكر على كل من يشغل منصب القائد العام للجيش فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، وأصل الكلمة (أطابك) ومعناها: الوالد الأمير وكان أول من لقب بذلك نظام الملك الطوسى وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى حين فوض إليه السلطان ملكشاه تدبير أمر المملكة سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، ولقب بألقاب عدة كان منها هذا اللقب، كما كانت الدولة لا تقدم على حرب إلا إذا أبدى أتابك العسكر موافقته على ذلك. (القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٤ ص ١٨؛ د/أنور محمود زناتى: المرجع الشامل فى مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار الآفاق العربية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ٢٠١٦م ص ٩).

[٥] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ ٢ ص ٣١١؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ ١٣ ص ٢٠١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١ ص ٣٥٨.

[٦] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ ٢ ص ٣٠٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ٢٠٠.

وأخذ الخليفة المستعين بالله السلطان فى الاستعداد للعودة إلى القاهرة بصحبة الأمير شيخ وبقية الأمراء، وأرسل إلى القاهرة بقرب وصوله، كما أصدر الخليفة المستعين بالله السلطان أمراً بإطلاق سراح الأمراء المسجونين بالأسكندرية[١]، وفى ظاهر الأمر بدا الخليفة المستعين بالله السلطان، وكأنه الحاكم الفعلى للبلاد، إذ أخذت رسائله وكتبه تخرج وفى مقدمتها هذه العبارة: من عبدالله ووليه الإمام المستعين بالله، وخليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين المفترض طاعته على الخلق أجمعين. أعز الله ببقائه الدين[٢]، كما ضربت السكة باسمه وحده، ودعى له بمفرده على المنابر، وعلامته سارية على التقاليد والتواقيع والمكاتبات[٣].

وفى يوم السبت الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، بدأ الخليفة المستعين بالله السلطان والأمير شيخ وبقية الأمراء والجند فى المسير جنوباً تجاه مصر[٤].

ومن الجدير بالذكر أن أهل مصر فرحوا فرحاً شديداً بتولى الخليفة المستعين بالله السلطنة وحكم البلاد، ظناً منهم أنهم بذلك تخلصوا من حكم المماليك بحرية كانوا أم جراكسة، وخرجوا جميعاً لاستقبال الخليفة السلطان المستعين بالله، واستقبله الناس فى بلبيس[٥]،

---

[١] الإسكندرية: الميناء البحرى الرئيسى والتاريخى لمصر، وثانى أكبر المدن المصرية بعد القاهرة العاصرة تقع على خط ١٢-١٣ شمالاً، وخط ٢٤-٢٩ شرقاً، وهى إلى الغرب من فرع رشيد، أسسها الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٢ق.م.، وكانت منذ تأسيسها منارة للعلم. وقد أهل موقع مدينة الإسكندرية ليكون ميناء صالحا لنقل تجارة الهند والشرق إلى اليونان وأوروبا، حيث ربطت بين الشرق والعرب تجاريا وعلميا وفلسفيا، وبها أشهر مكتبات العالم، وبها القلعة المشهورة التى تنسب للسلطان قايتباى (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م)، كما كان فيها العديد من الآبار والأسواق والمغارات التى هدمت بسبب الزلازل. (ابن خرداذبة (توفى سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م): المسالك والممالك، دار صادر – بيروت – لبنان – د. ط. سنة ١٨٨٩م ص ٨١؛ اليعقوبى (توفى سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م): البلدان، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م ص ١٦٩؛ ابن حوقل (توفى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض – دار صادر – بيروت – د.ط. سنة ١٩٣٨م، ص ١٤١، ١٤٢؛ د/ عبدالحميد حامد سليمان: الموانئ المصرية فى العصر العثمانى دورها السياسى ونظمها الإدارية والمالية والاقتصادية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٩٥م ص ٢١، ٢٢).

[٢] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص ١٩٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص٢٠١؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٨٦.

[٣] القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٣ ص ٢٦٣؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٨٧.

[٤] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ ٦ ص ٣١١.

[٥] بلبيس: بكسر البائين، وسكون اللام، وياء، وسين مهملة، مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، فتحت فى سنة ١٨ أو ١٩هـ على يد عمرو بن العاص. (ياقوت الحموى: معجم البلدان: جـ ١ ص ٤٧٩).

وحصل للناس من الفرح والسعادة ما لا يوصف[١].

وبوصول الخليفة المستعين بالله السلطان إلى القاهرة فى يوم الثلاثاء الثانى من شهر ربيع الأخر سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م تبدأ مرحلة ثانية من مراحل حكمه، إذا كانت المرحلة الأولى أثناء وجوده بدمشق، والتى حرص فيها الأمراء على حفظ شخصيته وهيبته، وحرصوا أيضاً على عدم المساس به والتظاهر باحترامه والقيام بالخدمة بين يديه، وإطاعة أوامره، نتيجة للظروف التى أحاطت بالأميرين شيخ ونوروز وصراعهما ضد السلطان الناصر فرج، إضافة إلى تخوفهما من بعضهما البعض[٢].

وتشير المصادر إلى أن علاقة الأميرين شيخ ونوروز بدأت تختلف مع الخليفة المستعين بالله السلطان، فقد أحس كل منهما أنه فى غير حاجة للخليفة السلطان المستعين بالله، فأخذ كل منهما يعمل على توكيد نفوذه وتقوية مركزه، فإذا كان الأمير نوروز قد انفرد بالحكم فى بلاد الشام – كما ذكرنا – وأصبح من حقه حكم بلاد الشام حكماً كاملاً لا يراجع فيه الخليفة السلطان إلا بمن يستقر فى شئ ليجهز إليه تشريفاً، فإن الأمر اختلف بالنسبة لوضع الأمير شيخ فى القاهرة والذى كان بجوار الخليفة السلطان وكان على الأمير شيخ هو الآخر أن يبذل قصارى جهده وكل ما فى وسعه من أجل الانفراد بالحكم واعتلاء السلطنة المملوكية[٣].

وصل الخليفة السلطان المستعين بالله القاهرة فى اليوم الثانى من شهر ربيع الآخر سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، وشق القاهرة وصعد إلى القلعة ونزل بالقصر "على عادة السلاطين المماليك"، الأمر الذى جعل الأمير شيخ يحس بعدم الارتياح تجاه الخليفة السلطان لتصرفه هذا[٤]، ولذلك فكر فى العمل بسرعة من أجل الحد من نفوذ الخليفة السلطان حتى لا يقوى شأنه ويمثل خطراً يهدد آمال وطموحات الأمير شيخ من الوصول إلى عرش السلطنة وعزل الخليفة السلطان المستعين بالله منها[٥]، لذلك أمر الأمير شيخ كافة الأمراء وأرباب الدولة بألا يصعدوا إلى الخليفة السلطان، وإنما

---

[١] القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٣ ص ٢٦٣؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٨٦.

[٢] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص ١٩٨؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٨٦.

[٣] ابن الصيرفى: نزهة النفوس، جـ ٢ ص ٣٠٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ٢٠١.

[٤] تذكر المصادر أن الأمير شيخ كان متوقعا من الخليفة المستعين بالله السلطان أن يذهب إلى داره عند وصوله القاهرة وليس القصر على عادة السلاطين، الأمر الذى جعل الأمير شيخ يعد العدة للإطاحة بحكم الخليفة السلطان المستعين بالله، فعمل على تقويض نفوذه. (ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٢ ص ٥١٣؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٨٩).

[٥] ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٢ ص ٥١٣؛ ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ص ١٩٨؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٨٩.

يترددوا على باب السلسلة[١]، حيث إقامة الأمير شيخ، كما أبطل المواكب السلطانية التى كانت تقام على عادة السلاطين، وقبض على الأمراء الذى شك فى إخلاصهم له، وأخذ فى التضييق على الخليفة السلطان ومنعه من مباشرة مهامه فى التولية والعزل، كما مارس على الخليفة السلطان نوعاً من الضغط من أجل تقليده جميع أمور البلاد المصرية[٢].

وبمقتضى هذا التقليد الذى منحه الخليفة السلطان المستعين بالله فى السادس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، خرج الحكم عن يد الخليفة السلطان إلى يد الأمير شيخ، الذى أخذ يمارس سلطاته وتقلب بلقب "نظام الملك"[٣]، كما أقام الأمير جقمق الأرغون[٤] دوادارا[٥] للخليفة السلطان، وكان هذا الأمير من الأمراء المخلصين للأمير شيخ المحمودى، وبذلك ضمن

---

[١] باب السلسلة: مبيت اقتضى عرف الدولة خلال عصر سلاطين المماليك أن يسكنه أكبر الأمراء من حيث المكانة بأهله ومماليكه، وهو باب من أبواب قلعة صلاح الدين بالقاهرة، وعرف فى العصر العثمانى بباب العزب نسبة إلى طائفة العسكر التى تسمى عزباء وظيفتهم المحافظة على الحصون والقلاع. (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٢ ص ٤٤؛ د/ محمد إبراهيم نصر: الخيل والفروسية فى الإسلام، دار الكتاب السعودى – الرياض د.ط. سنة ١٩٨٦م ص ١٢٥؛ د/ نبيل محمد عبدالعزيز: الخيل ورياضتها، القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥م ص ١٠٤، ١٠٥).

[٢] رضخ الخليفة السلطان المستعين بالله لمطالب الأمير شيخ بعد ممارسة الضغوط عليه، خشية من الأمير شيخ وعائلته ومماليكه بعد أن قبض الأمير شيخ على جميع الأمراء الغير مخلصين له، وأصبح الأمير شيخ يولى ويعزل من غير مراجعة الخليفة المستعين بالله السلطان بضمان هذا التقليد. (ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٤ ص ٥١٤؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٨٩.

[٣] ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٢ ص ٥١٥؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٨٩.

[٤] هو الأمير سيف الدين جقمق شادى الأرغون كان يشغل منصب نائب الغيبة فى القاهرة، وكان من الأمراء الموالين للأمير شيخ المحمودى. (العينى: السيف المهند، ص ٢٥٤).

[٥] الدوادار: لفظ فارسى معرب معناه "ممسك الدواة"، أو من يحمل دواة السلطان، وفى الإصطلاح تطلق على من يتولى وظيفة "الدوادارية" التى تتعلق بنقل الرسائل والأمرا للسلطان والبريد والقصص وأخذ الخط السلطانى على عامة المناشير والأحكام كالشكاوى والمظالم. (العمرى (توفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٧م): التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م ص ٢٥٠؛ د/ سعيد عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام، دار النهضة – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٧٦م، ص ٤٣٨؛ د/ محمد جمعة عبدالهادى: تاريخ الحسبة والمحتسبين فى العصر المملوكى، دار الآفاق العربية – القاهرة د.ت.ط، ص ٤٣٣؛ د/محمد محمد أمين: وثائق من عصر سلاطين المماليك، منشورات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة (د.ت.ط ص ٤٣٣).

الأمير شيخ عدم تصرف الخليفة السلطان المستعين بالله فى أى أمر من الأمور، إلا بعد علمه به عن طريق الأمير جقمق الدوادار[١].

وإذا كان الأمير شيخ قد استطاع التغلب فى سهولة على الخليفة المستعين بالله السلطان، وأصبح فى قبضته كل السلطات، فإن عدوه الأول وهو الأمير نوروز الحافظى كان مقيماً بالشام وكلاهما يعمل لتنفيذ مخططه من أجل الوصول إلى عرش السلطنة المملوكية، فقد أخذ الأمير نوروز الحافظى يراقب تطورات الموقف فى مصر فى قلق بالغ[٢].

وقد اعتمد الأمير نوروز الحافظى على أحد الأمراء الكبار المقيمين بالقاهرة وهو الأمير بكتمرجلق[٣] فى الحد من نفوذ الأمير شيخ، وكان الأمير شيخ نفسه يخشى من الأمير بكتمرجلق، مما أتاح الفرصة وإخلاء الجو للأمير شيخ لتنفيذ بقية مخططه فى الوصول إلى عرش السلطنة المملوكية[٤].

وبعد أقل من شهرين من وفاة الأمير بكتمرجلق جمع الأمير شيخ أمراء الديار المصرية وحدثهم فى أمر السلطنة، فوافقوا على سلطنته[٥]، فاستقر رأى الجميع على سلطنة الأمير شيخ وخلع الخليفة السلطان المستعين بالله من السلطنة وذلك فى يوم الإثنين أول يوم فى شهر شعبان سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م[٦].

وعندما صعد الأمراء إلى الخليفة المستعين بالله ليخبروه ما وصلت إليه حال الدولة وأخذ موافقته على بيعة السلطان شيخ الذى تلقب بالمؤيد، تردد كثيراً ثم وافق بشرط أن ينزل من القلعة

---

[١] ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٢ ص ٥١٤؛ العينى: السيف المهند، ص ٢٥٤؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٢٠٥-٢٠٦.

[٢] ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٢ ص ٥١٥؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص٨٩.

[٣] هو الأمير سيف الدين بكتمر بن عبدالله الظاهرى، تولى الكثير من الوظائف الكبرى فى دولة المماليك منها: أميرة عشرة، وأمير طبلخاناة، ثم أمير مانة ومقدم ألف بالقاهرة، ثم نيابة السلطنة بصفد ثم نيابة السلطنة بطرابلس، ثم أتابك العساكر بدمشق، ثم عاد إلى القاهرة على إميرمانة ومقدم ألف ثم نائب الغيبة بدمشق، كما تزوج ببنت السلطان الناصر فرج فى شهر المحرم سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م كما كان كالقسيم مع الأميرين شيخ ونوروز فى تدبير الممالك، فلم تطل أيامه ومات بعد مرض طويل فى الثامن من جمادى الآخرة سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م. ابن تغرى بردى: الدليل الشافى على المنهل الصافى، تحقيق وتقديم د/فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجى – القاهرة – د.ت.ط.، جـ١ ص ١٩٥؛ المنهل الصافى، جـ ٣ ص ٤٠٣ وما بعدها؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـ ٣ ص ١٧). .

[٤] ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٢ ص ٥١٥؛ العينى: السيف المهند ص ٢٧٧؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ٩٠.

[٥] العينى: السيف المهند، ص ٢٧٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١ ص ٣٥٨.

[٦] المقرزى: الخطط، جـ٢ ص ٦٢؛ العينى: السيف المهند، ص ٣١٠.

إلـى داره ويستقر بهـا، وكأنـه خشـى علـى نفسـه مـن اغتيـال المؤيـد شـيخ لـه، غيـر أن المؤيـد شـيخ استبقاه بالقلعة تحت يده[١]، إلى أن تستقر الأمور وحتى لا يشكل الخليفة المستعين بالله أى خطر جديـد[٢]، الـذى مكـث فـى السـلطنة المملوكيـة سـبعة أشـهر وخمسـة أيـام، ثـم أعلـن المؤيـد شـيخ المحمودى نفسه سلطاناً للمماليك[٣].

ثم قرر السلطان المؤيد شيخ بعد ذلك خلع الخليفة المستعين بالله من الخلافة، الذى ظل فى خلافته مدة تسع سنوات وشهر وولى مكانه أخاه المعتضد بالله[٤].

ومن الجدير بالذكر أن الأمير نوروز الحافظى لم يعترف بشرعية سلطنة المؤيد شيخ، واستمر متمسكا بشرعية الخليفة المستعين بالله وسلطنته، واستمر يخطب لـه علـى المنـابر بدمشق، كمـا كانت العملة تسك باسمه، كما جمع العلماء والقضاء واستفتاهم بما فعله الأمير شيخ فلم يجيبوا فيما سئلوا، فأخذ الأمير نوروز يعد العدة لمحاربة المؤيد شيخ، غير أن الأمير نوروز لم يلبث أن قتل سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م، دون أن يحقق شيئا مما أراده[٥].

---

[١] العينى: المصدر السابق، ص ٣١١.

[٢] المقريزى: السلوك، جـ ٦ ص ٣٤٠.

[٣] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص ١٩٨.

[٤] هو أبوالفتح داود بن المتوكل المعتضد بالله، بويع بالخلافة بعد خلع أخيه سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م والسلطان يومئذ المؤيد شيخ المحمودى واستمر المعتضد بالله إلى أن مات فى أول يوم من شهر ربيع الأول سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م، فكان المعتضد ذكيا فطنا يجالس العلماء والفضلاء. (السيوطى: تاريخ الخلفاء، جـ٢ ص ٣٩٨، ٣٩٩).

[٥] المقريزى: السلوك، جـ ٦ ص ٣٤٢؛ العينى: السيف المهند ص ٣٢١.

نتائج البحث

الحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة.

بعد البحث والدراسة توصل البحث إلى عدة نتائج منها:

١. توصلت الدراسة أن الخليفة المستعين بالله هو الوحيد من خلفاء الدولة العباسية فى القاهرة الذى جمع منصب الخلافة والسلطة المملوكية.

٢. أكدت الدراسة على أن أحوال الدولة فى ظل خلافة المستعين بالله كانت مليئة بالاضطرابات والصراعات السياسية بين الأمراء.

٣. برهنت الدراسة على أن صغر السلطان الناصر فرج وميوله إلى اللهو واللعب وقتله لمماليك والده من أهم العوامل التى أدت الى صراع كبار الأمراء وطمعهم فى السلطنة المملوكية.

٤. بينت الدراسة الدور الذى قام به بعض كبار الأمراء فى تولي الخليفة المستعين بالله السلطنة المملوكية والذى تمثل فى دور كل من الأمير بين شيخ ونوروز.

٥. توصلت الدراسة أن تنصيب الخليفة المستعين بالله فى السلطنة المملوكية فترة انتقالية لتحقيق مخططات كبار الأمراء والوصول إلى أهدافهم.

٦. أكدت الدراسة وبينت الدور الذى قام به الأمير شيخ من عزل الخليفة المستعين بالله من السلطنة والخلافة وإعلانه سلطاناً للمماليك.

قائمة المصـادر والمراجـع

أولاً: المصـــادر :

- **ابن إياس (محمد بن أحمد ابن إياس الحنفى المصرى المتوفى سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م):**

١. بدائع الزهور فى وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م.

- **ابـن تغـرى بـردى (أبوالمحاسـن جمـال الـدين يوسـف ابـن تغـرى بـردى المتـوفى سـنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م):**

٢. المنهـل الصـافى والمسـتوفى بعـد الـوافى، تحقيـق د./ محمد محمد أمـين، تقـديم د./سـعيد عبـدالفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة د.ت.ط.

٣. مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة، تحقيق د/ نبيل محمد عبدالعزيز، عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

٤. النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دار الكتب – القاهرة – د.ت.ط.

- **ابـن حجـر (أبوالفضـل أحمـد بـن علـى بـن أحمـد بـن حجـر العسـقلانى المتـوفى سـنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):**

٥. إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق د/ حسن حبشى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامى – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٦٩م.

٦. ذيل الدرر الكامنة، تحقيق د/ عدنان درويش – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٩٢م.

- **الحميرى (أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميرى المتوفى سنة ٩٠٠هـ/١٩٩٤م):**

٧. الروض المعطـار فـى خبـر الأقطـار، تحقيـق/ إحسـان عبـاس – مؤسسـة ناصـر الثقافيـة – دار السراج – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م.

- **ابن حوقل (أبوالقاسم محمد بن حوقل البغدادى المتوفى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م):**

٨. صورة الأرض، دار صادر – بيروت – لبنان – د.ط. سنة ١٩٣٨م.

- **ابـن خردادبـة (أبوالقاسـم عبيـد الله بـن عبـدالله المعـروف بـابن خردادبـة المتـوفى سـنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م):**

٩. المسالك والممالك، دار صادر/أفست ليدن – بيروت – د.ط. سنة ١٨٨٩م.

- **الـذهبى (شمس الـدين أبوعبـدالله محمد بـن أحمـد بـن عثمـان بـن قايمـاز الـذهبى المتـوفى سـنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م):**

١٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د./ بشار عواد، دار الغرب الإسلامى، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م.

- **السبكى (تاج الدين ابى نصر عبدالوهاب السبكى المتوفى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م):**

١١. معبد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م.

- **السخاوى (شمس الدين أبوالخير محمد بن محمد السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):**

١٢. الذبل على رفع الإصر، تحقيق د/ جودة هلال، أ./محمد محمود صبح، مراجعة أ/على البجاوى – د.ت.ط.

١٣. الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع، دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.

- **السيوطى (عبدالرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م):**

١٤. حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق/محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م.

١٥. تاريخ الخلفاء، تحقيق/ حمدى الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م.

- **ابن شاهين (زين الدين عبدالباسط بن خليل بن شاهين الظاهرى الملطى المتوفى سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م):**

١٦. نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، تحقيق/ محمد كمال الدين عزالدين على، نشر المكتبة الثقافية الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م.

- **شيخ الربوة (شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبى طالب الأنصارى الدمشقى الملقب بشيخ الربوة والمعروف بشيخ حطين المتوفى سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م):**

١٧. نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية – بطرسبورج – الطبعة الأولى سنة ١٨٦٥م.

- **الصيرفى (على بن داود الجوهرى الصيرفى المتوفى سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٩م):**

١٨. القانون فى ديوان الرسائل، تحقيق د/ أيمن فؤاد سيد – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

١٩. نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ أهل الزمان، تحقيق د/حسن حبشى – دار الكتب – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٧٣م.

- **ابن ظهيرة (جلال الدين محمد بن محمد بن نورالدين بن أبى بكر بن ظهيرة المتوفى سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م):**

٢٠. الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق/ مصطفى السقا، كامل المهندس، القاهرة د.ط سنة ١٩٩٦م.

- **العصـامى (عبـدالملك بـن حسـين بـن عبـدالله بـن عبـدالملك العصـامى المتـوفى سـنة ١١١١هـ/١٦٩٩م):**

٢١. سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى، تحقيق/ عادل أحمد عبدالمعبود، على محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.

- **ابن العماد (أبوالفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):**

٢٢. شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق/ محمود الأرناؤوط – دار ابن كثير – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م.

- **العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):**

٢٣. التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م.

٢٤. مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار "دولة المماليك الأولى" دراسة وتحقيق/دور تياكرا فولسكى – نشر المركز الإسلامى للبحوث – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م.

- **العينـى (أبـومحمد محمـود بـن أحمـد بـن موسـى بـن أحمـد بـدر الـدين العينـى المتـوفى سـنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م):**

٢٥. السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى، حققه وقدم له/فهيم محمد شلتوت، راجعه د/ محمد مصطفى زيادة – دار الكتب – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٩٨م.

- **أبوالفداء (عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود بن عمر شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):**

٢٦. تقويم البلدان، صححه/ ريفود البارون، ماك كوكين ديسلان – المطبعة الملكية – باريس – د.ط. سنة ١٩٠٧م.

- **القلقشندى (أحمد بن على بن أحمد الفزارى القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م):**

٢٧. صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، دار الكتب، القاهرة د.ط سنة ١٩٢٢م.

- **ابـن كثيـر (عمـاد الـدين أبوالفـداء إسـماعيل بـن عمـر البصـرى الدمشـقى المتـوفى سـنة ٧٧٤هـ/١٣٧٠م):**

٢٨. البدايـة والنهايـة، تحقيـق/ علـى شـيرى – دار إحيـاء التـراث العربـى – بيـروت – لبنـان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م.

- **ابن كنان (محمد بن عيسى بن كنان الدمشقى المتوفى سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م):**

٢٩. المواكب الإسلامية والمحاسن الشامية، تحقيق د/حكمت إسماعيل، مراجعة/أحمد المصرى – منشورات وزارة الثقافة العربية السورية – دمشق – د.ط. سنة ١٩٩٣.

- **المقدسى (أبوعبدالله محمد بن أحمد المقدسى البشارى المتوفى سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م):**

٣٠. أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الثالثة سنة ١٩٩١م.

- **المقريزى (أحمد بن على بن عبدالقادر الحسينى تقى الدين المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م):**

٣١. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق / عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م.

٣٢. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م.

- **ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصارى الإفريقى المصرى المتوفى سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م):**

٣٣. لسان العرب، تحقيق/ عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى، دار المعارف – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٨٦م.

- **ياقوت الحموى (شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):**

٣٤. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م.

ثانياً: المراجع العربية :

- **إيلى منيف شهلة (دكتور):**

٣٥. الأيام الأخيرة فى حياة الخلفاء، راجعه وقدم له/ محمد عبدالرحيم – دار الكتاب العربى – دمشق – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م.

- **إيناس حسن محمد (دكتورة):**

٣٦. دولة المماليك البداية والنهاية – دار التعليم الجامعى – الاسكندرية ٠ الطبعة الأولى سنة ٢٠١٥م.

- **حامد زيان غانم (دكتور):**

٣٧. صفحة من تاريخ الخلافة العباسية، دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨م.

- **سعيد عاشور (دكتور):**

٣٨. العصر المماليكى فى مصر والشام، دار النهضة – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٧٦م.

- **عبدالحميد حامد زيان (دكتور):**

٣٩. الموانئ المصرية فى العصر العثمانى دورها السياسى ونظمها الإدارية والمالية والاقتصادية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – د.ط. سنة ١٩٩٥م.

- **عبدالمنعم ماجد (دكتور):**

٤٠. التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر دراسة تحليلية للازدهار والانهيار – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – د. ط. سنة ١٩٨٨م.

- **على إبراهيم حسن (دكتور):**

٤١. دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر التناصر من بوجه خاص، مكتبة النهصة – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٤٤م.

- **محمد إبراهيم نصر (دكتور):**

٤٢. الخيل والفروسية فى الإسلام، دار الكتاب السعودى – الرياض – د. ط. سنة ١٩٨٦م.

- **محمد أحمد دهمان (دكتور):**

٤٣. معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

- **محمد جمعة عبدالهادى (دكتور):**

٤٤. تاريخ الحسبة والمحتسبين فى العصر المملوكى، دار الآفاق العربية – القاهرة – د.ت.ط.

- **محمد فريد بك:**

٤٥. الدولة العلية العثمانية، تحقيق/ إحسان حقى، دار النفائس – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م.

- **محمد قنديل البقلى:**

٤٦. التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م.

- **محمد محمد أمين (دكتور):**

٤٧. وثائق من عصر سلاطين المماليك، منشورات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة – د.ت.ط.

- **محمود زناتى (دكتور):**

٤٨. المرجع الشامل فى مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية – دار الآفاق العربية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ٢٠١٦م.

- **مصطفى عبدالكريم الخطيب :**

٤٩. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – د.ط. سنة ١٩٩٦م.

- **نبيل محمد عبدالعزيز (دكتور):**

٥٠. الخيل ورياضتها، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥م.

٥١. موسوعة تاريخ وآثار مصر الإسلامية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م,.

- **نقولا زيادة :**

٥٢. دمشق فى عصر المماليك – مكتبة لبنان – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م.

- **يحيى شامى (دكتور):**

٥٣. موسوعة المدن العربية والإسلامية – دار الفكر العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.

ثالثاً: المراجع المترجمة:

- **استانلى لين بول:**

٥٤. تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف فى الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجرى العاشر إلى التاسع عشر الميلادى، ترجمة للفارسية د/ عباس إقبال، ترجمة من الفارسية / مكى طاهر – الدار العربية للموسوعات – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦م.

List of sources and references

First: Sources:

- Ibn Iyas (Muhammad bin Ahmed Ibn Iyas Al-Hanafi El-Masry, who died in ٩٣٠ AH / ١٥٣٤ AD):

١. Badaa' Al-Zuhoor Fe Waqaa El-Dohoor, GenerAl-Egyptian Book Organization - Cairo - second edition in ١٩٨٣ AD.

- Ibn Taghri Barada (Abu Al-Mahasin JamAl-Al-Din Yusuf Ibn Taghri Barada, who died in ٨٧٤ AH / ١٤٧٠ AD):

٢. Al-ManhAl-Al-Safi and Al-Mustafa Baad Al-Wafi, investigated by Dr./ Mohamed Mohamed Amin, presented by Dr./ Said Abdel Fattah Ashour, the Egyptian GenerAl-Book Authority - Cairo D.T.T.

٣. Muwared Ellatafa Feman Walaa Sultanate Wa El-Khelafa, investigated by Dr. Nabil Muhammad Abdulaziz, World of Books - Cairo - first edition in ١٩٩٠ AD.

٤. Elnegom Elzahera Fe Melook Masr Wa El-Kahera, Ministry of Culture and NationAl-Guidance, Dar Al-Kutub - Cairo - D.T.T.

- Ibn Hajar (Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Ahmed bin Hajar Al-Asqalani, who died in ٨٥٢ AH / ١٤٤٨ AD):

٥. Enbaa El-Ghamr Beabnaa Elomr, investigated by Dr. Hassan Habashi, Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for the RevivAl-of Islamic Heritage - Cairo - Dr. Year ١٩٦٩.

٦. Zail El-Dorror El-Kamena, investigated by Dr. Adnan Darwish - Cairo - d. Year ١٩٩٢.

- Al-Himyari (Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abdul-Moneim Al-Himyari, who died in ٩٠٠ AH / ١٩٩٤ AD):

٧. Al-Rawd Al-Maatar Fe Akhbar El-Aktar, investigated by Ihsan Abbas - Nasser Cultural Foundation - Dar Al-Sarraj - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٨٠ AD.

- Ibn Hawqal (Abu Al-Qasim Muhammad ibn Hawqal Al-Baghdadi, who died in ٣٦٧ AH / ٩٧٧ AD):

٨. Soraa El-Ard, Dar Sader - Beirut - Lebanon - Dr. ١٩٣٨ AD.

- Ibn Khordadbeh (Abu Al-Qasim Ubayd Allah bin Abdullah, known as Ibn Khordadbeh, who died in ٢٨٠ AH/٨٩٣ AD):

٩. El-Masalek Wa El-Mamalek, Dar Sader/Avest Leiden - Beirut - Dr. The year ١٨٨٩ AD.

- Al-Dhahabi (Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz Al-Dhahabi, who died in ٧٤٨ AH / ١٣٤٨ AD):

١٠. Tareekh El-Islam Wa Wafeat Elmashaheer Wa El-Eaalam, investigated by Dr. Bashar Awad, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut - Lebanon, first edition in ٢٠٠٣ AD.

- El-Sobky (Taj Al-Din Abi Nasr Abd Al-Wahhab El-Sobky, who died in ٧٧١ AH / ١٣٦٩ AD):

١١. Mabaad El-Naam Wa Mobeed El-Neqam, Cultural Books Foundation - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٨٦ AD.

- Al-Sakhawi (Shams Al-Din Abu Al-Khair Muhammad bin Muhammad Al-Sakhawi, who died in ٩٠٢ AH / ١٤٩٦ AD):

١٢. Elzabl Ala Rafaa El-Asr, Investigated by Dr. Gouda Hilal, Prof. Mohamed Mahmoud Sobh, revised by A/Ali El-Bajawy - Dr. T.T.

١٣. Eldoaa El-Lamea Fe Aayan Elqarn El-Tasaa, Dar Al-Jeel Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٩٣ AD.

- Al-Suyuti (Abdul-Rahman bin Abi Bakr Jalal Al-Din Al-Suyuti, who died in ٩١١ AH / ١٥٠٥ AD):

١٤. Hasan Al-Madharah Fi Tareekh Masr Wa El-Qahera, investigation / Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, House of RevivAl-of Arabic Books, Cairo, first edition in ١٩٦٧ AD.

١٥. Tarikh El-Kholafaa, investigated by Hamdi Al-Demerdash, Nizar Mustafa Al-Baz Library, Makkah Al-Mukarramah - first edition in ٢٠٠٤ AD.

- Ibn Shaheen (Zain Al-Din Abd Al-Basit Ibn Khalil Ibn Shaheen Al-Zahiri Al-Malti, who died in ٩٢٠ AH / ١٥١٤ AD):

١٦. Nozha El-Asateen Feman Waly Masr Men El-Salateen, Investigation / Muhammad Kamal Al-Din Izz Al-Din Ali, Published by the Religious Cultural Library - Cairo - first edition in ١٩٨٧ AD.

- Sheikh of Al-Rabwah (Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Talib Al-Ansari Al-Dimashqi, nicknamed Sheikh Al-Rabwah and known as Sheikh Hittin, who died in ٧٢٧ AH / ١٣٢٧ AD):

١٧. Nokhba El-Dahr Fe Agaeab El-Bar Wa El-Bahr, Imperial Academy Press - Petersburg - first edition in ١٨٦٥ AD.

- Al-Sirafi (Ali bin Dawood Al-Gawhari Al-Sirafi, who died in ٨٤٢ AH / ١٤٣٩ AD):

١٨. El-Kanown Fe Dewan El-Rasael, investigated by Dr. Ayman Fouad Sayed - Egyptian Lebanese House - Cairo - first edition in ١٩٩٠ AD.

١٩. Nozha El-Nefoos We Elabdan Fe Twareekh Ahl El-Zaman, investigated by Dr. Hassan Habashi - Dar Al-Kutub - Cairo – D.T. Year ١٩٧٣.

- Ibn Dhahirah (Jalal ad-Din Muhammad Ibn Muhammad Ibn Nur ad-Din Ibn Abi Bakr Ibn Dhahirah, who died in ٨٦١ AH / ١٤٥٧ AD):

٢٠. Elfadel El-Bahera Fe Mahasen Masr Wa El-Kahera, Investigated by / Mostafa El-Sakka, Kamel El-Mohandes, Cairo D.T in ١٩٩٦ AD.

- Al-Asami (Abdul-Malik bin Hussein bin Abdullah bin Abdul-Malik Al-Asami, who died in ١١١١ AH / ١٦٩٩ AD):

٢١. Smat Al-Negoom Al-Awali Fe Anbaa Elawaal Wa El-Tawally, investigated by / AdEl-Ahmed Abdel Maboud, Ali Muhammad

Moawad - Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٩٨ AD.

- Ibn Al-Imad (Abu Al-Falah Abd Al-Hayy ibn Al-Imad Al-Hanbali, who died in ١٠٨٩ AH / ١٦٧٨ AD):

٢٢. Shazrat Elzahab Fe Akhbar Men Zahab, investigation by Mahmoud Al-Arnaout - Dar Ibn Kathir - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٨٦ AD.

- Al-Omari (Shehab Al-Din Ahmed bin Yahya bin Fadlallah Al-Omari, who died in the year ٧٤٩ AH / ١٣٤٩ AD):

٢٣. El-Tareef Bel Mostalah Elshareef, investigated by / Muhammad Husayn Shams Al-Din - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٨٨ AD.

٢٤. Masalek El-Absar Fe Mamalek El-Amsar "The First Mamluk State" Study and Investigation / The Role of Tiakra Volsky - Published by the Islamic Research Center - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٨٦ AD.

- Al-Aini (Abu Muhammad Mahmoud bin Ahmed bin Musa bin Ahmed Badr Al-Din Al-Ayni, who died in ٨٥٥ AH / ١٤٥١ AD):

٢٥. Al-Saif Al-Muhannad Fe Searaa Al-Malek Al-Moayad Sheikh Al-Mahmoudi, edited and presented to him by Fahim Muhammad Shaltout, reviewed by Dr. Muhammad Mustafa Ziada - Dar Al-Kutub - Cairo - second edition in ١٩٩٨ AD.

- Abu Al-Fida (Imad Al-Din Ismail bin Ali bin Mahmoud bin Omar Shahanshah bin Ayyub Al-Malik Al-Mu'ayyad, owner of Hama, who died in ٧٣٢ AH / ١٣٣١ AD):

٢٦. Takweem Elboldan, Edited by / Refoud Baron, McCookin Deslan - RoyAl-Press - Paris - d. year ١٩٠٧ AD.

- Al-Qalqashandi (Ahmed bin Ali bin Ahmed Al-Fazari Al-Qalqashandi, who died in ٨٢١ AH / ١٤١٨ AD):

٢٧. Sobh Al-A'sha Fe Senaa Elenshaa, Dar Al-Kutub, Cairo, ١٩٢٢ AD.

- Ibn Katheer (Imad Al-Din Abu Al-Fida Ismail bin Omar Al-Basri Al-Dimashqi, who died in the year ٧٧٤ AH / ١٣٧٠ AD):

٢٨. El-Bedaia Wa El-Nehaya, Investigation / Ali Shiri - House of RevivAl-of Arab Heritage - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٨٨ AD.

- Ibn Kinan (Muhammad bin Issa bin Kinan Al-Dimashqi, who died in ١١٥٣ AH / ١٧٤٠ AD):

٢٩. Al-Mawakeb El-Eslamia Wa El-Mahasen El-Shamia, investigated by Dr. Hikmat Ismail, revised by Ahmed Al-Masry - Publications of the Syrian Arab Ministry of Culture - Damascus - Dr. year ١٩٩٣.

- Al-Maqdisi (Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Maqdisi Al-Bishari, who died in ٣٨٠ AH / ٩٩٠ AD):

٣٠. Ahsan El-Takaseem Fe Marafaa El-Akaleem, Madbouly Library - Cairo - the third edition in ١٩٩١ AD.

- Al-Maqrizi (Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir Al-Husseini Taqi Al-Din Al-Maqrizi, who died in ٨٤٥ AH / ١٤٤١ AD):

٣١. El-Selook Le Marafa Dewal El-Melook, Investigation / Abdel Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, first edition in ١٩٩٧ AD.

٣٢. El-Mawaez Wa El-Aatebar Bezekr El-Khetat We El-Asar El-Maarof Be Khetat Al-Maqrizi, Known as Plans of Al-Maqrizi, Library of Religious Culture, Cairo, second edition in ١٩٨٣ AD.

- Ibn Manzur (Jamal Al-Din Muhammad bin Makram bin Ali bin Manzur Al-Ansari, the African-Egyptian, who died in ٧١١ AH / ١٣١١ AD):

٣٣. Lisan Al-Arab, investigation by Abdullah Ali Al-Kabeer, Muhammad Ahmed Hassaballah, Hashem Muhammad Al-Shazly, Dar Al-Maaref - Cairo – D.T. The year ١٩٨٦ AD.

- Yaqut Al-Hamawi (Shehab Al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah Al-Hamawi, who died in ٦٢٦ AH / ١٢٢٩ AD):

٣٤. Moagam El-Boldan, Dar Sader, Beirut, second edition in ١٩٧٨ AD.

Second: Arabic references:

- Elie Munif Shahla (PHD):

٣٥. El-Ayam El-Akhera Fe Hayat El-Kholafaa, reviewed and presented to him by / Muhammad Abdel Rahim - Dar Al-Kitab Al-Arabi - Damascus - first edition in ١٩٦٨ AD.

- Enas Hassan Mohamed (PHD):

٣٦. Dawlaa Al-Mamaleek El-Bedaya Wa El-Nehaya - University Education House - Alexandria - first edition in ٢٠١٥.

- Hamed Zayan Ghanem (PHD):

٣٧. Safhaa Men Tarekh El-Khelafa El-Abasia, House of Culture for Printing and Publishing - Cairo - first edition in ١٩٧٨ AD.

- Said Ashour (PHD):

٣٨. Al-Asr El-Mamleky Fe Masr Wa El-Sham, Dar Al-Nahda - Cairo - Dr. Year ١٩٧٦.

- Abdel Hamid Hamid Zayan (PHD):

٣٩. Al-Mawany El-Masria Fe Al-Asr Elosmani (Dawraha El-Siasy Wa Nozmaha El-Edaria Wa Elm Alia Wa El-Ektesadya) – General Egyptian Book Organization - Cairo – D.T. The year ١٩٩٥ AD.

- Abdel Moneim Maged (PHD):

٤٠. Al-tarekh El-siasy ledawlaa salateen elmamaleek fe masr (An analysis of boom and bust)- Anglo-Egyptian Library - Cairo – D.T The year ١٩٨٨ AD.

- Ali Ibrahim Hassan (PHD):

٤١. Derasat Fe Tarekh El-Mamalek Al-Bahrea Fe Asr El-Tanaser Men Bewagh Khas, Al-Nahda Library - Cairo - first edition in ١٩٤٤ AD.

- Mohamed Ibrahim Nasr (PHD):

٤٢. Al-Khail Wa Al-Forsia Fe Al-Islam, The Saudi Book House - Riyadh – D.T. The year ١٩٨٦ AD.

- Mohamed Ahmed Dahman (PHD):

٤٣. Moagam El-Alfa ZelTarekhia Fe Al-Asr El-Mamluky, Dar Al-Fikr Al-Moaseer - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٩٠ AD.

- Mohamed Gomaa Abdel Hadi (PHD):

٤٤. Tareekh Al-Hesbaa Wa El-Mohtasbeen Fe Al-Asr El-Mamluky, Dar Al-Afaq Al-Arabiya - Cairo - D.T.T.

- Mohamed Farid Bey:

٤٥. Al-Dawlaa Al-Olya Al-Othmania, investigation / Ihsan Haqqi, Dar Al-Nafais - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٨١ AD.

- Mohamed Qandil El-Baqly:

٤٦. Al-Tareef Bemostalhat Subh Al-Asha, General Egyptian Book Organization, Cairo, first edition in ١٩٨٣ AD.

- Mohamed Mohamed Amin (PHD):

٤٧. Wasaek Men Asr Salateen El-Mamaleek, publications of the French Institute of Oriental Archeology - Cairo - D.T.T.

- Mahmoud Zenati (PHD):

٤٨. Al-Margaa El-Shamel Fe Mostalahat Al-Tareekh Wa El-Hadara El-Eslamia - Arab Horizons House - Cairo - first edition in ٢٠١٦.

- Mustafa Abdul-Karim Al-Khatib:

٤٩. Mogam Elmostalahat Wa El-Alkab El-Tarekhia, Al-Resala Foundation - Beirut - Lebanon - Dr. ١٩٩٦ AD

- Nabil Muhammad Abdulaziz (PHD):

٥٠. Al-Khail Wa Readatha, Cairo, first edition in ١٩٧٥ AD.

٥١. Mawsoat Tareekh Wa Athar Masr Al-Islamia - Cairo - first edition in ١٩٩٠ AD.

- Nicolas Ziadeh:

٥٢. Damascus Fe Asr Al-Mamalek - Library of Lebanon - Cairo - first edition in ١٩٦٦ AD.

- Yahya Shami (PHD):

٥٣. Mawsoaa Al-Modon Al-Arabia Wa Al-Islamia – Dar El-Fekr Al-Arby - Beirut - Lebanon - first edition in ١٩٩٣.

Third: Translated references:

Stanley Lynn Paul:

٥٤. The history of caliphs, sultans, kings, princes and nobles in Islam from the first to the fourth century AH, tenth to the nineteenth century AD, translated into Persian by Dr. Abbas Iqbal, translation from Persian / Makki Taher - Arab House of Encyclopedias - Beirut - Lebanon - first edition in ٢٠٠٦ AD.